سرفنادر فيجنادر :

خطر يهدد القصة المصرية

للأديب كمال رستم

... إن المتتبع للحركة الأدبية القصصية في مصر ، لا يستطيع أن يخفي خوفه من الخطر الذي بات يهدد أدب القصة ، وأقول « القصة » وأعني بذلك أن أحمل اللفظ أكبر معناه فتستوى عندي القصة الطويلة والأقصوصة !

... ليس فينا من ينكر أن الأدب القصصي مستحدث في العربية ، وأن ظهوره كأدب ذاتي متميز لا يرجع إلى أبعد من هذا القرن العشرين . وأقول أدب ذاتي وأنا التمس للتعبير شيئاً غير قليل من التحفظ ، فإن لقائل أن يقول : وهل لنا حقا أدب قصصي ذاتي ؟

والحق أن الإجابة عن هذا السؤال لا تتطلب كثيراً من الجهد متى توفرت لدى الكاتب الشجاعة فيجيب من فوره بأن ليس في مصر قصَص ذاتي

... أعلم سلفاً أن قولي هـذا سيقيم ويقعد جماعة نصبوا أنفسهم آلهة للقصة في مصر ، وليس في هؤلاء من يهمني رضاهم أو سخطهم ما دمت أهدف إلى غرض سام أرجو من ورائه أن يعود على أدبنا بالخير والنفع ! ... ويبقى أن ندير السؤال على وجه آخر فنقول : هل القصة المصرية موجودة بالفعل ... وهل ما تطالعنا به المجلات الأسبوعية قصص مستمدة من صلب الحياة المصرية ؟ أكبر الظن أن الإجابة عن هذا السؤال ستكون سلباً ... فالقصة المصرية لا تعبر عن روح المجتمع بل هي الصدى الشائه لمجتمعات غريبة وأجواء أجنبية ! إن مقياس الذاتية في القصة أن يجد الإنسان نفسه وأسرته وعاداته وأخلاقه وآماله وآلامه في كل ما يكتب الكاتب من القصص ، ذلك بأن القصة يراد بها أولا وقبل كل شيء تصوير المجتمع ، بل إن مقرري الحالات الاجتماعية لمصر من العصور في بلد من البلاد ليعتمدون في الكثير الغالب على القصة في تقرير الحالة الاجتماعية لهذا العصر باعتبار أنها الصدى الحاكي له .. وليكن المثال التالي مصدقاً لما نقول :

رواتنا أن هذه هي الأرض المقدسة لبني إسرائيل . فقال له الخمار : أيما أفضل هذه أم قطربل ؟ فقال : لولا صفاء شراب قطربل ، وركوبها كاهل دجلة ، ما كانت إلا بمنزلة حانة من حاناتها .

ثم مر أبو نواس بمدينة عانة فسمع اصطخاب الماء في وجداولها قال : أذكر في هذا قول الأخطل :

من خمر عانة ينصاع الفؤاد لها ... بجدول صَخِب الآذي موّار

فأقام فيها ثلاثاً يشرب . ثم قال لولا قربها من قطربل وجاذبة الدواعي إليها لأقمت بها أكثر من ذلك . فلما دخل الأنبار تسرع إلى بغداد وقال : ما قضيت حق قطربل ، فعدل إليها وأقام ثلاثاً أتلف فضلة كانت معه من نفقته ، وباع رداءً معلماً من أردية مصر . ولما أراد الانصراف عنها اجتمع الخمارون للسلام عليه . قال الصولي : فما شبهتهم وإياه إلا بجماعة الرشيد عند تسليمهم عليه في يوم حفل له . وقد قال في ذلك قصيدة ظريفة هي[1] :

طربت إلى قطربل فأتيتها ... بمال من البيض الصحاح وعين

ثمانين ديناراً جياداً أعدها ... فأتلفتها حتى شربت بدين

رهنت قميصاً سابرياً وجبة ... وبعت رداء معلم الطرفين

لخمارة دين ابن عمران دينها ... مهذبة تكنى بأم حسين

وقلت لها إن لم تجودي بنائل ... فلا بد من تقبيلي الشفتين

فقالت : وهل ترضى بغيرهما هوى

يا بلج كالدينـــار فاتر عين

وقد كنت في قطربل إذ أتيتها ... ارى أنني من أيسر الثقلين

فروحت عنها معسراً غير موسر ... أقرطس في الإفلاس من مائتين

وقال لي الخمار عنـــد وداعه ... وقد ألبستني الخمر خف حنين

الاعش بزين أين سرت مودعاً ... وقد رحت منه حين رحت بشين

بغداد

شكري محمود أحمد

مدرس التربية بدار المعلمين الابتدائية

---

(١) هذه القصيدة في ياقوت تسعة أبيات وفيها تصحيف كثير في الأصل وصححناها على ما بأيدينا من شعره .

إن مصر ترزح فى الوقت الحاضر تحت عبء ثقيل من الآلام ، فأين القصة المصرية التى يمكن أن يعتمد عليها مؤرخ فى عصر متأخر ليصل منها إلى حقيقة هذا الوقت العصيب الذى تجتازه مصر ؟ لقد كتبت قصص فى بلاد أخرى كان مدارها علاج المشاكل الاجتماعية لتلك البلاد ، فقومت من الأخلاق وهذبت من العادات ، وأسقطت حكومات وأدلعت نيران ثورات ، فأين قصتنا المصرية من هذا كله ؟

أو ليس عجيباً والشعب يعانى عللا اجتماعية لا حصر لها ألا نجد من بين كتابنا القصصيين من يجعل من هذه العلل عقد قصصه ؟ ... بل ان النفس لتقطر أسى حينما نقلب بين أيدينا المجلات الأسبوعية فلا نقف فيها على غير قصص الحب ، كأنما الشعب الذى يؤود سواده أعباء الجهل والفقر والمرض يقضى كل وقته متغنياً بالحب وما يتصل بهذا الحب من العواطف والانفعالات ؟ . حتى هذا اللون من القصة الذى استغرق كل أدبها إنما هو لون واغل دخيل !

لقد دلت التجارب على أن الناسخ أو المقتبس لا يستطيع فى الغالب الأعم أن يخلق أو يبتكر ، وهذه الحقيقة معروفة لنفر غير قليل من هؤلاء الذين توفروا على النقل والاقتباس

ولكن ليس هذا كل ما فى الأمر من خطر ، ذلك بأن القصة غزت ميداناً واسعاً هو ميدان السينما وتأثيرها على العقول لا يحتاج إلى دليل ، فإن أولادنا وبناتنا وزوجاتنا يؤثرون دور العرض على غيرها من ضروب التسلية والترويح عن النفس ، وهكذا يبرز جلياً خطر عرض عادات وأخلاق غير عاداتنا وأخلاقنا على النشء والبنت والزوجة مما وضح أثره الأليم فى اصطناع هذه العادات والتخلق بهذه الأخلاق حتى أشفق المشفقون على مجتمعنا من الانحلال

وبعد فلعل ختام هذه الكلمة العاجلة هو ما كان ينبغى أن يكون مبدأها ، ذلك بأنى كتبت هذه الكلمة فى أعقاب قراءتى قصة لكاتب فى عدد المصور الأخير عنوانها « الأرض التى تكفيه » ، وقد نسبها الكاتب إلى نفسه ، وهى لروائى من أعظم روائيى العالم وأبعدهم صيتا وهو الروائى الروسى الكبير ليو تولستوى ... وهى القصة الموسومة باسم :

Hew Much Send Does a man require

« كم حاجة المرء من الأرض » . . . والنقل على هذه الصورة أبعد ما يتصوره الإنسان من الجرأة ، فلو أن الناقل نقل عن كاتب مغمور لالتمسنا له بعض العذر ، ولكن أن يضيف إلى نفسه عملا لكاتب لامع كتلستوى فهذا هو ما يحير عقلا كعقلى على الأقل .. فهل ظن الناقل أن أدب تولستوى لا يقرأه شخص عداه ؟ فإذا كان شأن أدباء القصة هنا مع مؤلف « السلم والحرب » و « أنا كارنينا » هو هذا الشأن فكيف شأنهم مع غيره ؟

هذه الظاهرة الخطيرة رأيتها كذلك فى أدب كاتب معروف هو الأستاذ توفيق الحكيم ، فقد ظهرت له قصة فى أحد أعداد مجلة أخبار اليوم بعنوان « ليلة الزفاف » وليست هذه القصة غير قصة "A usband to trust" « البحث عن زوج أمين » لكاتب أمريكى هو : Hester. G. Rabison . وهى منشورة بعدد مجلة « قصص الحب » الأمريكية Sove Story الصادر فى ٧ من يونيو سنة ١٩٤١ . وعذر الأستاذ الحكيم أن المؤلف الأصلى غير معروف لقراء العربية على الأقل ، فلم يجد حرجاً فى التغرير بعقول القراء ! ومهما كانت خطورة اعتماد الناقل فى أدبه على ما ينقله من أفكار الغرب ، فإن هذه الخطورة ستكون أبعد مدى فى تأثيرها فى المجتمع المصرى كما قدمت . ومن هنا حُقَّ لى أن أنبه إلى مقاومة هذه الظاهرة والحد من تأثيرها ضناً على ذاتية أدبنا من جهة ، وإشفاقاً على التأثير السيء الذى تخلفه بعض هذه القصص فى مجتمعنا من جهة أخرى .

كمال رستم

العدد القادم

هو :

العدد الهجري الممتاز

وسيصدر بعون الله كعادته

مدبجا بقلم

أعلام البيان فى العالم العربي